المحاضرة الخامسة – الرواية المغاربية مابعد الكولونيالية :

سيطرت الثقافة الكولونيالية للاحتلال (الفرنسي–الانجليزي) على مستعمراته الإفريقية والأسيوية لفترة طويلة وكان لابد لتلك للشعوب– بعد استقلالها– أن تنتج خطاب أدبي مقاوم للكولونيالية، فظهر أدب مابعد الكولونيالية.

أولًا :الرواية مابعد الكولونيالية :

عمل الاستعمار الفرنسي على إنتاج آداب خدمت ثقافته ومشاريعه الاستيطانية، ومن أبرزها الرواية الكولونيالية التي مثلت وجهه الحضاري،وظهر بعد استقلال شعوب العالم الثالث رواية أخرى عُرفت برواية مابعد الكولونيالية.

1–مفهوم مصطلح مابعد الكولونيالية :

يعد مصطلح مابعد الكولونيالية دخيل على الثقافة العربية، وغالبًا مايُستعمل مصطلحا الاستعمار والإمبريالية الواحد مكان الآخر، فكان استعماري أو كولونيالي حسب قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية مشتقة من كلمة كولونيا Colonia التي كانت تعني مزرعة أو مستعمرة .

فالكولونيالية تعني الاستعمار والهيمنة الامبريالية لشعوب العالم الثالث، ومصطلح مابعد الكولونيالية هو حديث الوضع والاستعمال، ويتداخل مع مصطلح الاستقلال،ويرى آخرون بأن مابعد الكولونيالية منسجمة مع المقاومة والمعارضة العلنية (مناهضة الكولونيالية) وأن الاستقلال غالبًا مايعني ببساطة تنصيب شكل كولونيالي جديد.

ومنه نقصد بمابعد الكولونيالية تلك الآداب التي ظهرت بعد استقلال شعوب العالم الثالث، التي حصلت على استقلالها حديثًا، و منها شعوب المغرب العربي،وهي تحمل طابع مقاومة ثقافة الاحتلال المستعمر لها ، وقد شكل نقد الخطاب الاستعماري، وتحليل الآداب التي أنتجت داخل المستعمرات القديمة،والأراضي التي لاتزال خاضعة لسلطته،أو تأثير مراكز الاستقطاب(الفرنسية) شكل موضع نتاجات أدبية معادية للاستعمار ،وتعد الآداب الأفريقية والكندية والأوسترالية والهندية هي آداب مابعد كولونيالية بحكم كونها تحددت،وتوطدت في نفس الوقت بعلاقتها مع المركز، وبتمايزها عنه ، وفي المجال الفرنكفوني وَلد النقد مابعد الكولونيالي من خلال دراسته للآداب المغربية والأكوادية والفيتنامية... مفاهيم التهجين والهجرة، والواقع أن أدباء من أمثال كوروما وباتريك شاموازو والطاهر بن جلون وعزوز بيغاج ساهموا بقوة في أصناف نقدية وشمل الآداب المعادية لثقافة الاستعمار أو الثقافة الكولونيالية ومنها الرواية مابعد الكولونيالية،التي تقاوم الإمبريالية،ونشأت علاقة بين الرواية والتيارمابعد الكولونيالي ،واختار رواد هذا التيار الرواية دون غيرها؛لأن الرواية هي الجنس الأقدر على التعبير وهوماتصوره في كثير من المواقف "الروايات مابعد الكولونيالية بوصفها حكايات رمزية قومية مرتبطة بثقافة مجتمع العالم الثالث، وفي سياق متصل يرى إدوارد سعيد في كتابه الثقافة والمقاومة "أن الرواية هي الثقافة ،التي تحصن أصحابها وتحميهم من الذوبان في منظومة الهيمنة التي تُملي عليهم من الخارج،ومنه كانت الرواية وسيلة ناجعة للرد عن هيمنة الاستعمار.

ونستطيع القول بأن مصطلح الكولونيالية هو مرادف للمصطلحات التالية:الحضارية،الامبريالية،الحداثة الاستعمار،المركزية ، ومثلته ثقافة دول الشمال أو الغرب المحتل ، وأما مصطلح مابعد الكولونيالية فمرادفاته: مابعد الحضارية، الاستقلال، مابعد الحداثة ، وتمثله ثقافة شعوب العالم الثالث التي كانت محتلة ،ومنه فالرواية مابعد الكولونيالية هي الرواية التي تعادي ثقافة الاستعمار، وتتضمن خطاب روائي مضاد لخطاب الرواية الكولونيالية ، والرواية مابعد الكولونيالية حافظت على هوية شعوب العالم الثالث .

2 –أبرز مصادر التيار مابعد الكولونيالي :

مماهو معلوم أنه هناك عدة مؤلفات أرخت لتيار مابعد الكولونيالية ، ومن أبرزها نذكر:

أ– كتاب المعذبون في الأرض" 1961 لفرانز فرانون حيث عادت جذور تيار مابعد الكولونيالية إلى هذا الكتاب فيعد مُبشرًا للخطاب مابعد الكونيالي،وقد وجه نقدًا لاذعًا للاحتلال،ويعد هذا الكتاب أول محاولة للقيام بتدخل نظري في بروز أفريقيا مابعد الكولونيالية،وإذ ينطلق العمل من أرضية الثورة الجزائرية،واعتبرالنقاد أن أول محاولة لخطاب معادي للكولونيالية مع كتاب"المعذبون في الأرض لفرانز فانون،الذي شكل البذرة لآداب مابعد الكولونيالية.

ب– يعد كتاب الاستشراق "المفاهيم الغربية للشرق" 1978 لإدوارد سعيد أهم مصدر في مجال مابعد الكولونيالية ترجمه محمد عناني عام 1995 ،وإدوارد سعيد هو من رواد مابعد الكولونيالية، وقد مهد كتابه الاستشراق لما أصبح يسمى نقد الاستعمار(colonial critique) أومايسميه إدوارد بنقد مابعد الاستعمار (Postcolonial Criticism) ومن أهم مظاهره قيام أبناء البلدان التي تحررت من الاستعمار بإعادة النظر في التركة الاستعمارية، وهو مايتجلى في آدابهم ومأأتى به من مجالات جديدة للدراسات النقدية، وتوالت المؤلفات في مجال مابعد الكولونيالية،ورجعت بدايات ظهور تيار مابعد الكولونيالية إلى الستينيات بالنظر إلى تاريخ تأليف كتاب المعذبون في الأرض" 1961 لفرانز فرانون.

3–الفرق بين الروايتين الكولونيالية(الحضارية) ومابعد الكولونيالية (مابعد الحضارية) :

كانت الرواية في مقدمة الكتابات النثرية في آداب مابعد الكولونيالية ، وقد ظهرت في مقابل الرواية الكولونيالية ونستعمل مصطلح الحضارية في مكان الكولونيالية، وكذلك الأمر بالنسبة لمابعد الحضارية مكان مابعد الكولونيالية ونجمل بعض الاختلافات الخطابية والسردية في كل من الروايتين الحضارية ومابعد الحضارية فيمايلي:

أ–الرواية الحضارية يخضع السرد والخطاب للتشفير المانوي (الغرب/الشرق) وفي المقابل تكسر الرواية مابعد الحضارية التقاطب لصالح التشفير الداخلي .

ب–يتبين المخيل السردي في الرواية الحضارية كرحلة نحو الخارج ، وتمثيل للذات في علاقتها بالآخر الإمبريالي بالمقابل تشخيص الرواية مابعد الحضارية رحلة الذات إلى الداخل وتجربة الذات الإنسانية في علاقتها بالواقع .

ج– تصور الرواية الحضارية صدمة الغرب، بالمقابل تصور الرواية مابعد الحضارية صدمة الواقع.

د–في الرواية الحضارية تتحكم أوليات اللاشعور الجماعي والذاكرة الجماعية وعقدة التاريخ في أفعال الشخصيات بالمقابل تتحكم في شخصيات الرواية مابعد الحضارية شروط السياق الاجتماعي والفكري للشخصيات .

هـ– فإذا البطل يعيش في الرواية الحضارية كمثقف مغترب في مجتمعه منقطع ومنفصل عن أهله ، فإن البطل في الرواية مابعد الحضارية يعيش في سياسات الناس .

في الرواية الحضارية يخضع تحديد الذات في علاقتها بالآخر والإشكاليات المترتبة عن ذلك من الاغتراب وبينما الرواية مابعد الحضارية نجد فيها الحفاظ على الهوية، وإن إقحام أفكار مابعد الحداثة، التي تبنتها الكولونيالية الجديدة بنظامها الرأسمالي بدأت ثمار الثقافة الوطنية بعدما كانت الإمبريالية تنتهك مبادئها محاولة منها لإعادة إنتاجها وفق ثقافة المركز – الغربية– لكي تلائم مشروع هدم الإرث الثقافي وحل الذات وتفكيكها، وتبديد الهويات ليحل محلها براديغم جديد أسهمت في صنعه الكولونيالية الجديدة على أسس المنفعة في صيغتها البراغماتية وأنتجت مابعد الكولونيالية خطاب أدبي جديد يمكن أن نسميه بمابعد الحداثة أو مابعد الحضارية، وهو ضد خطاب الكولونيالية التي عملت على محاربة الهويات الوطنية وتفكيكها.

ثانيًا: الرواية المغاربية مابعد الكولونيالية :

ظهرت آداب مابعد الكولونيالي في أقطار المغرب الغربي بعد استقلالها، وكانت الرواية المغاربية في طليعة الآداب مابعد الكولونيالية ، وعالجت الرواية المغاربية مابعد الكولونيالية قضايا ارتبطت بوضع بلدان المغرب العربي تجاه هيمنة الاحتلال الأجنبي له ، ومنها ماتعلق بالذات والهوية والصراع مع الآخر .

1-البحث عن الأنا :

في الثقافة الكولونيالية يتشكل الأنا بالقياس إلى الآخر ، ولاصعب أن نعاين في الواقع مواقف كثيرة تتأسس انطلاقًا من الصورة التي لدينا عن الآخر إن في النظرية أو في الممارسة ، وهذا الآخر يتلون وفق تموضع الأنا بوصفه ذاتًا فردية في البدء، وقد عالج رشيد بوجدرة إشكال الأنا والآخر ورهانات الهوية في الأعمال الروائية الجزائرية التالية :فتاة أحلامي لرضا حوحو ومالاتذروه الرياح لعرعار محمد العالي ، ومعركة الزقاق لرشيد بوجدرة ، وفتاوى أموت إبراهيم سعدي ورأس المحنة لعز الدين جلاوجي ، وكتاب الأمير2004 لواسيني الأعرج .

وقد ظهرت الأنا في صورة جماعية تقاوم المحتل كما في رواية "عام الحبل"لمصطفى نطور التي تتناول جماعة من القبائل الأحزاب مختلفة الألوان ،أو تسعى جميعها للظفر ب"العالية بنت منصور من القبائل رمز الجزائر كما في رواية "عبد الملك مرتاض "مرايا متشظية ،أو يتم التلميح إلى التناقض بين الأنا والآخر بمرونة أدبية من خلال الشمال ، الذي يأكل الجنوب كما في رواية السعيد بوطاجين "أعوذ بالله" 2006 .

توجد علاقة صراع بين الأنا والآخر ، فالأنا المُعبر عنها في الروايات هي الضعيفة المسلوبة الحقوق ،فهي تقاوم الآخر المحتل، فهنا ثنائية ضدية فيها طرف ضعيف مسلوب الإرادة مثله العالم الثالث ، والطرف الآخر قوي متسلط مثله الغرب، ولقد سلطت الروايات المغاربية الضوء على الأنا الضعيفة المهزومة، التي تعي وجودها من خلال الآخر المهيمن ، وبالتالي علاقة تضاد بين الأنا والآخر كما صورته رواية أعوذ بالله لسعيد بوطاجين .

2- أشكال مقاومة الآخر :

تعددت أشكال مقاومة الآخر حسب الذات المقاومة ،وهناك صور عديدة تناولتها الروايات المغاربية مابعد الكولونيالية.

أ-تعدد صور الآخر:

عندما نبحث عن تجليات صور الآخر في الأعمال الروائية المغاربية، فنجد صور سلبية وأخرى إيجابية .

- الصورة السلبية للآخر :

تحدث الروائي المغربي "نور الدين وحيد في روايته رماد البارحة 1999 عن التجنيد الإجباري الذي بدأ منذ بداية القرن العشرين،وصوّر بشاعة الحرب حرب من أجل الآخر فرنسا ضد النازية،ونفس الصورة نجدها في مجموعتي "الحبيب السائح "القرار و"الصعود نحو الأسفل"بالذات ينعكس هذا الخطاب بشكل جلي ،حيث المعذبون في الأرض من عمال أوفلاحين يعانون من ممارسات عدو طبقي برجوازي،ويستدعي"عمار بلحسن "ماضي القياد والإقطاعيين ليعيدنا إلى واقع لم يتغير في بعده الاجتماعي قصة "زمن الجري في الاتجاه الصحيح "وقد تأتي القصة تعبيرًا عن إدانة ساخرة ممن يمثل صورة الانتهازي والوصولي ،الذي لايمتطي خطابًا اشتراكيًا إلا لبلوغ مآربه "اشتراكي حتى الموت عند "الطاهر وطار"، ومنه فقد لاحظنا تتعدد صور الآخر فقد يمثل دولة استعمارية كفرنسا في رواية "رماد البارحة" أو فئة مستغلة برجوازية أو شخص انتهازي كما في قصص القرار و" الصعود نحو الأسفل" و" زمن الجري في

الاتجاه الصحيح "، والذي جمع صور الآخر المتعددة في تلك الأعمال هو الهيمنة والتسلط على الذات .

ومع مرور الزمن تكتسي صورة العدو الطبقي لباسًا دينيًا كذلك في روايات الطاهر وطار " الزلزال1974 وعرس بغل 1983 والعشق والموت في الزمن الحراشي" 1982 إلى أن تتجسد في سائر الأعمال التي ظهرت في تسعينيات القرن الماضي، فهذا الآخر الذي أصبح جسدًا غريبًا في الوطن سماه واسيني الأعرج"حراس النوايا"في سيدة المقام " 1995 ويظهر من خلال مجموعة من الممثلين لدى الطاهر وطار في الشمعة والدهاليز 1995 بينما يصرح"رشيد بوجدرة بما تمارسه الأصولية والإرهابيون الإسلاميون من قتل وتدمير في رواية " تيميمون "1990.

إن تصوير الصراع الرمزي تتخذ موقفًا منه ومن الواقع موقف تكشف عنه دراسة كيفية تمثيل هذا الصراع الرمزي في عالم التخييل، وتجدر الإشارة إلى أن الآخر قد يكون الأجنبي أو من مجتمعك ، فالآخر هنا يُقصد به من يختلف معك في الثقافة والتوجه السياسي أو الديني، وقد يكون من وطنك كما حصل مع الآخر الإسلامي المتطرف وصورته أعمال الطاهر وطار و وواسيني الأعرج ورشيد بوجدرة .

هناك روايات على عكس روايات الطاهر وطار لاتطرح البديل جاهزًا على أنه الحل الأنجع بل الحقيقة المطلقة المساعد على الخروج من التأزم المعيش ، ولكنها تسعى، ومنذ البداية إلى تحليل الآخر ،والكشف عن كل نقائصه وسلبياته من خلال الكشف عن أزمته الحضارية المطروحة على المجتمع ، وكل ذلك من خلال تقديم وعي شامل لقضايا الاجتماعية المغاربية في علاقتها بالحضارة الاستعمارية ،التي تدخل معها في علاقة تصادم وتبادل،فإذا كان الإنسان المغربي يعاني من إحباطات تاريخية ، والإنسان الغربي هو الآخر ليس في منأى عن ذلك ،ولاهو في وضع أفضل إنه يعاني من المتاعب التي خلفتها الحضارة الغربية نفسها.

- الصورة الايجابية للآخر :

ومثلما صادفنا الآخر الشرير في الأعمال الروائية السابقة نجد صورة أخرى للآخر الإيجابي،حيث ظهرت صورة فرنسي آخر لتلك الشريحة من الفرنسيين ، الذين وقفوا ضد النظام الاستعماري، ففي "يوميات فدائي" من مجموعة قصص الطعنات 1971 للطاهر وطاهر حيث نقرأ عن هذا الفدائي الفرنسي الذي يتعامل سرًا مع المجاهدين، ويتضح لنا أنه ليس بالضرورة أن يكون الآخر عدوًا فقد يكون صديقًا، وهنا مفارقة لما صورته بعض الروايات مابعد الكولونيالية .

ب–النص الكولونيالي والنص المضاد :

نتحدث عن صورة (الغرب–الاستعمار) الذي يكون خلفية للتاريخ وللنص المتخيل ، والذي يحاول القبض على تلابيب ذلك التاريخ، والاستعمار يعادل القهر والاستعباد واحتقار الآخر ،وفي هذا المجال أصدر الحبيب السائح روايته "تلك المحبة" 2002 وفيها الانقلاب في الصورة الأدبية من جو الحب والصفاء وجمال الطبيعة وطيبة الإنسان الصحراوي إلى صورة فظيعة هو الذي– بدوره – سيفجع القارئ ، ينقله من السكينة إلى الاضطراب من الطمأنينة إلى الخوف،وهناك صورة أخرى لآخر وهي (آخر النحن) الذي يبدو في النص الروائي أقرب إلى الإشكالية ،إذ أنه يتأرجح بين حدود معادلة (الأنا–الآخر) وعملت الرواية المغاربية على توسيع مفهوم الأنا عبر (آخر النحن) المندمج حضاريًا ودينيًا وجغرافيًا.

وتحكي رواية "الساحة الشرفية" لعبد القادر الشاوي 2005 مسارات ملتهبة بالآلام لشخصيات أورثها السجن إحباطًا وانكسارات ، التي تواجه بعد الإفراج عنها واقعًا مفارقًا، وإذا كان السجن بشكل فضاء معاديًا للذات،يهدد كينونتها بالقهر

فإن طقس البوح يخلق حالة موازية مشرقة بين الذوات هي الألفة ، التي تسمح للذات بالتعرف إلى ذاتها واكتشاف الآخر في صيرورة متبادلة من البوح المشترك.

ونجد أن رواية "الغربة" 1971 لعبد الله العروي تحيل إلى تاريخ اجتماعي لايستطيع أن يقبض على زمنه الخاص به ولايقدر أن يتعرف على زمن الآخر الذي أبهر الأنا المهزومة بماضيها وحاضرها وكبلها بأيديولوجية قناعية الشكل والجوه، وهذا يتجلى من تذبذب الذات المأزومة،حيث أصبح الوعي لايتعامل مع الواقع المشخص،وإنما يتعامل مع الأشياء، وبين الواقع وأشياء مسافة واختلاف،وإن التمسك بالآخر عند عبد الله العروي كحل لمشاكلنا المستعصية التي خلفتها فترة الاحتلال يصبح أساسيًا على الرغم من النقد،الذي يوجهه الكاتب حضارة الغرب،ففي رواية "الغربة" لعبد الله العروي صورة عن الغرب فعلًا وعن الشرق أيضًا وعن المغرب كجزء من الرق الثقافي والحضاري، وكجزء من الغرب الجغرافي والتاريخي، والغرب يرتبط في الرواية كذلك بالحرب التي دمرت أحلام المجتمع والأفراد على السواء،والغرب ليس هو البديل للشرق ولو مؤقتًا ،بل العنصر الذي يتحدد به ،ومعه معنى النص الذي يتجلى في رفض الغرب – الاستعمار ونبذ الماضي– وإن دولة مابعد الاستعمار غالبًا ماتستعمل لغة قومية معادية للإمبريالية.

يتصور "بريتان" بأن الرواية في البلدان التي كانت تحت الاستعمار على أنها "الشكل الذي قد أوصلته طبقة صغيرة مثقفة ثقافة أجنبية إلى جماهير القراء الحواضر بين من خلال الترجمة على الأغلب،ومنه إن ما اتسمت به العلاقة بين الأنا (العربية /الشرقية) والآخر الغربي ،الامتداد التاريخي والجذور العميقة لهذه العلاقة المتوترة .

3– إشكالية الصراع حول الهوية:

لقد حاول الغرب على مر العصور ،وتحديدًا مع بداية الألفية الثالثة أن يشيع فكرة الصدام الإسلامي الصليبي سعيًا منه إلى طمس ما بنته الحضارة العربية من مجد ، كان يحسب لها في بناء حضارة قائمة على التسامح .

إن تحويل الصراع من الذات مع الآخر إلى الذات مع نفسها أو الذات مع عقيدتها ،هو من باب مساعٍ حثيثة من الآخر المتسلط في حجم مايتوخاه اللاعبون السياسيون الكبار،الذي يسعون إلى إعادة تشكيل العالم بما يوافق مصالحهم، فماعسانا نقول عن هويتنا العربية الإسلامية ،التي بدأت تخسر استمرار تواصلها الترابي من يقين الإرث المرجعي،ودخلت في رهان مع اللامتناهي ،الذي يحاول بديلًا لكل ماهو ثابت وقار، والدخول في غمار المجهول بكل مايحمله من صفات الغربة والغرابة.

وكان لأسلوب العنف من القوة الكونيالية الجديدة أثره البالغ في الرواية المعاصرة،والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا وتشخص رواية "روائح ماري كلير" 2008 للروائي التونسي الحبيب السالمي قصة حب بين محفوظ شاب تونسي ، وماري كلير فتاة فرنسية خارج نسق "الشفرة الكولونيالية التي فرضت جمالياتها المانوية على سياسات التمثيل بما جعل الذات في الرواية الحضارية تؤكد هويتها في مسار الصراع القائم مع القوى الكونيالية .

وفي رواية "مصابيح مطفأة 2004 للروائي المغربي أحمد الكبيري يتم دمج المسار الفردي للذات في مسارات الآخرين ، والنموذج الفردي في الرواية يتميز ببنيته المنفتحة بمعنى أنه لايتشكل كنسق مغلق على الذات لشخصية "المحجوب" بل ينفتح على الفضاء العام لمدينته،و تحكي رواية "مصابيح مطفأة" مسارًا معكوسًا لما عرف في النقد العربي بالرواية الحضارية ،وإذا كانت معظم نماذج الرواية الحضارية تركز على تشخيص رحلة الذات من الجنوب إلى الشمال ، فإن"مصابيح مطفأة" تقلب هذا المسار السردي ،وتركز على تشخيص عودة الذات من الشمال إلى الجنوب ،وبالتالي رواية "مصابيح مطفأة" هي رواية مابعد الكولونيالية ،وإذا كانت الرواية الحضارية تصور صدمة

الغرب،وعلى مستوى السرد تصف رحلة إلى الخارج ، وتمثيلًا للآخر الإمبريالي ،فإن "مصابيح مطفأة" تشخص صدمة الواقع ،وعلى مستوى السرد تصف رحلة إلى الداخل the voyage in وتمثيلًا للذات الإنسانية، وفي هذا المسار الخطابي تختلف رواية "مصابيح مطفأة" في رهانها الثقافي عن روايات الأليغوريا الوطنية في مرحلتها الأولى ،التي رافقت حروب التحرير والاستقلال ،حيث كانت رواية هذه المرحلة الانتقالية مشدودة إلى شرطها التاريخي ، والذي تمثل في تقديس شعار الاستقلال والتحرير كإيديولوجيا وطنية مقدسة عليها إجماع .

وأما رواية "أيلان أو ليل الحكي" 1983 للكاتب المغربي إدمون عمران المليح، فقد رجع إلى النبش في بقايا تاريخ مسكوت عنه، يرقد في ظل الصمت ،بسبب عمليه القمع التي تفرضها السلطة ،لكن تداعياته الأنطولوجية على كينونة الذات ،وهي (الذات) مايشكل دافعا ديناميًا لكسر حالة الصمت ،وإعادة كتابة التاريخ من منظور الضحية وتاريخ الضحية تريد له السلطة أن يموت بموت الضحية ، وقريب مما تناوله إدمون عمران المليح ذهب محمد برادة في روايته رواية "بعيدًا عن الضوضاء قريبًا من السُكات" 2014 حيث يستهل فيها الكاتب الرواية باسم الراجي مساعد المؤرخ ، فهو يحكي تاريخ المغرب عن طريق الشاب "الراجي" الذي حاول استعادة تاريخ المغرب منذ الحماية الفرنسية حتى الاستقلال، وتبحث الرواية في الهوية التاريخية للمجتمع المغربي .

تجدر الإشارة أنه عندما تعرف العرب على الغرب كان هذا الأخير قطع أشواطًا كبيرة في معرفة ذاته، وكانت معرفة العرب للغرب تتسع وتتعمق بقدر ماكان المجتمع العربي يزداد تمايزًا في مبناه الاجتماعي، ويبدأ العهد الحديث في المغرب مع القرن العشرين،فكان المغاربة يعرفون الغير القريب منهم والمجاز الخاص بصور الاختلاف الثقافي تجسده في النص صور الجماعات الانزياحية ؛أي تلك الجماعات التي تتشكل هويتها "بيننا" على الحدود،وفي طرق الهجرة ،وفي زمن الهجنة الثقافية،وليس في بؤر الأصول الثابتة تتكلم لغة خليطة،وإن البحث في مسألة الآخر يستلزم شرطًا لاستكماله، يتمثل في البحث عن الذات وإعادة طرح سؤال الهوية من مواقع مختلفة ،إذ أن تجلي الآخر بأنماطه المختلفة وصوره المتعددة يستدعي بالضرورة تجلي الأنا ،وقد تداخلت قضية الآخر في الفكر والمخيال الإنسانيين بقضية الهوية أو(إثبات وجود الذات) وعلاقتها مع الغير .

وأما عن محاولات الفكر المغاربي التعامل مع مسألة الآخرية ،فقد ارتبطت بسبب الظروف التاريخية بعملية أخرى كان هدفها الأساس البحث عن الذات ،وإثباتها مقابل الآخر الأجنبي في محاولة لإبراز خصوصية الهوية التي يتمتع بها ،ومن ثم العمل على حمايتها من هيمنة وسلطة الآخر،وقد تعامل الفكر العربي مع مفاهيم الهوية والآخرية عبر مراحل متعددة انتقلت به من الصدمة السلبية نحو المراجعة الجريئة لآليات التشكيل المعرفي للعقل العربي ،في محاولة جادة لمحاورة الآخر، والإفادة من منجزه الحضاري .

ونجد أن الرواية المغاربية في نشأتها لم تكن إلا وليدة المفارقات الكبرى ،ونتيجة للصدام الحضاري بين الثقافتين العربية والغربية، فالشكل الروائي مرتهن في ولادته وتطوره بالعلاقات مع الغرب ، وإن الأديب المغاربي الكولونيالي يلعب على أعراف المشروعية ، التي هي الأنواع والأشكال الأوروبية ليتوصل إلى التعبير عن أصالته ومنه فالرواية المغاربية مابعد الكولونيالية أنتجت خطاب حفظ للذات هويتها وقاوم تفككها، ومثلما أفرزت الكولونيالية خطاب الهيمنة والسيطرة واحتواء العالم الثالث وطمس هويته تصدت لها الأعمال الروائية المغاربية مابعد الكولونيالية فأنتجت خطاب الوحدة والمقاومة والرفض.